دروس وفوائد من آية الكرسي

للشيخ عبد الرزاق البدر

25 مجلسا

المجلس الثالث

بســـــم الله الرحمن الرحيـــــم

أحمدُ الله عزّ وجلّ أن منَّ عليّ بتفريغ هذه المجالس العلمية النافعة والتي ألقاها الشيخ عبد الرزاق البدر ـــ حفظه الله ـــ والتي عددها 25 مجلسا حول فوائد آية الكرسي .

كما أودّ أن أنبّه إخواني أنّ الكلمة التي تحتها خط يجب مراجعتها و أنّ الأحاديث النبوية فهي مكتوبة كما هي مسموعة من الشيخ و أيضاً لا أسمح أن يُعتمد على هذا التفريغ دون مرافقة المادة الصوتية معه أو أن يأذن الشيخ .

هذا وأرجوا من الله سبحانه وتعالى أنْ يَكتُب لي الأجرَ قَدرَ ما يستفِيدُ وينتفع به المسلمون مِن هذا العمل ، ومَن سَاهمَ أيضًا في نشرِه.

ما جاء في المجلس الثالثة :

معنى كلمة التوحيد ـــ لا إله إلا الله ـــ التي صُدِّرت بها آية الكرسي .

أدلة ـــ لا إله إلا الله ـــ من القرآن والسنة .

وقفة مع طريقتان لتفسير وبيان التوحيد .

التفريـــــــــغ :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمدَ لله نحمدهُ ونستعينه ونستغفره ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا مَن يهدِه الله فلا مُضلّ له ومن يُضلل فلا هادي وأشهدُ أن لا إله الله وحدهُ لا شريك له وأشهدُ أنَّ محمد عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابهِ أجمعين أمّا بعدُ :

معاشِر الإخوة الكِرام : لا يَزالُ الحديثُ موصولا عن أعظمِ آيةٍ في كِتاب الله عزّ وجلّ ــ آية الكرسي ــ ، وفي لقاء الأمس مضى الحديثُ عمّا صُدِّرت بهِ هذه الآية ألا وهو كلمة التوحيد ــ لا إله إلا الله ــ حيثُ قال جلّ شأنه ﴿ اللّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ فصُدِّرت هذه الآية الكريمة بكلمةِ التوحيد الخالِدة ــ لا إله إلا الله ــ أعظمِ الكلماتِ شأناً وأرفعِها مكاناً .

ومرّ معنا بِهذهِ المُناسبة ذِكرٌ لجملةٍ مِن الفضائل العظيمة والفواضِلِ الكريمة لهذِه الكلمة ــ كلمة التوحيد ــ ، ومضى كذلِك ذِكرٌ لشروطِ هذه الكلمة التي لا قَبولَ لها ولا انتِفاعَ بها إلا إذا حُقِّقت ، وقد مرّ معنا أنّ الشأنَ في هذه الكلمة كالشأن في أمور الدّين الأخرى لا تكونُ مقبولةً إلا إذا أوتيَ بِشروطِها ، الصلاةُ لا تُقبَل إلا بِشروطِها والحج لا يُقبل إلا بشروطِه والصيامُ لا يُقبل إلا بشروطه ولا إله إلا الله لا تُقبل إلا بِشروطِها وضوابِطِها الوارِدةِ في كِتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ وهيَ شروطٌ سبعة قد عَرَفها أهل العِلم بالتتبُّع والاستِقراء لِدلائِل كتاب الله وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهيَ : العلمُ واليقينُ والإخلاصُ والصِدقُ والمحبّةُ والانقيادُ والقبول .

ومرّ حديثٌ مُختصر عن هذه الشروط وبعض دلائِلها مِن كِتاب الله وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وفي مُقدِّمةِ هذه الشروط كما مرّ معنا العِلم بمعناها نفياً وإثباتاً المُنافي للجهل ، قال الله تبارك وتعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وقال جلّ وعلا ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ، إلا مَن شهدَ بالحق أي : بلا إله إلا الله فهيَ كلِمة الحق ، وهم يعلمون أي : يعلمون معنى ما شَهِدوا به ، فلا تكونُ الشهادةُ نافعة إلا مع العِلم بمعنى ما شَهِد به الشاهِد ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا ﴾ ، وقد اشتَرط النبي عليه الصلاة والسلام العِلم بمعنى لا إله إلا الله أو جعلَ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ العِلم بمعنى لا إله إلا الله شرطاً لِقبولِها كما في صحيح مسلم مِن حديث عثمان بن عفّان ــ رضي الله عنه ــ أنّ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : ﴿ مَن ماتَ وهوَ يعلمُ أنهُ لا إله إلا الله دخَل الجنة ﴾ فليست لا إله إلا الله نافِعةً قائِلها إلا إذا عرف معناها وعرفَ مدلولها وعرفَ ما تقتضيه أمّا مَن يقولها ولا يدري ما هي أو يفهَمُها فهماً مُنحرِفاً أو فهماً بعيداً عن مدلولِها فأينَ هذا وذاك مِن تحقيقِ كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، ولِهذا كان مِن أكَدِ المُهمّات وأعظم الواجِبات في هذا الباب العظيم أن يفقهَ المسلم فِقهاً صحيحاً وفهماً سليماً هذه الكلمة العظيمة بعيدا عن انحرافاتِ أهل الأهواء ومُترلقاتِ أهل الضلال ، يفهَمُها فهماً صحيحا على ضوءِ كِتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لِيتأتَّ له على ضوء هذا الفهم تحقيقُ هذه الكلمة وأن يكون مِن أهلِها حقاً وصِدقاً .

ولِهذا سيكونُ الحديثُ هذا اليوم عن معنى هذهِ الكلِمة العظيمة ــ كلمة التوحيد لا إله إلا الله ــ التي صُدِّرت بِها آية الكرسي ، والحديثُ عن معنى لا إله إلا الله حديثٌ في غايةِ الأهمية والضرورةُ إلى العِنايةِ بفهمِ معناها ومعرِفةِ مدلولِها ماسةٌ جداً لكلِّ مسلم ولا سيَما أنَّ الناسَ انتشرَ بينهُم بسبب دُعاة الضلال وأهل الأهواء الذين حذّر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ منهم بقولِه : ﴿ إنّ أخوَفَ ما أخَاف على أمتّي الأئمَّة المُضلِّين ﴾ فبسببِ هؤلاء فُتِن الناس حتى في كلِمة التوحيد وطُرِح في أوساط الناس مفاهيم غيرُ صحيحة ومفاهيمٌ مغلوطة لهذهِ الكلمة تَحرِفُ بالمسلم عنِ الجادّة وتُبعِدهُ عن سواء السبيل ، فلِهذا

كان مِن أهمِّ المُهمَّات وأعظمِ الواجبات في هذا المقام أن يُعنى المُسلم بفهمِ هذهِ الكلمة فهماً صحيحاً على ضوءِ كِتاب الله جلّ وعلا وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفهمِ السلف الصالِح ــ رضي الله عنهم ورحمهم ــ .

وكلِمةُ لا إله إلا الله التي هيَ كلِمة التوحيد هيَ كلِمة واضحة غاية الوضوح بيِّنة غايةَ البيان ، والعرب يعرِفونَ ما تعنيه هذه الكلمة وما تَدلُّ عليه حتى مَن خاطَبهُم النبي عليه الصلاة والسلام مِن أهل الشِرك و التنديد وعِبادة الأصنام والأوثان لّما قال لهم عليه الصلاة والسلام : ﴿ قولوا لا إله إلا الله ﴾ كانوا يَفهَمون ما تَعنيهِ هذهِ الكلِمة وما تدلُّ عليه ولكنّهم أبو واستكبروا وامتنعوا لأنهم أدرَكوا أنّ قَبولُهم لهذه الكلمة يعني إلغاءَ الأصنام وإبطال الأنداد وتركِ الشِرك ، يعرِفون ذلِك معرِفةً جيدة ولِهذا لّما قال لُهم عليه الصلاة والسلام : ﴿ قولوا لا إله إلا الله ﴾ استكبروا وامتنعوا مِن القَبول قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ فعرفوا أنّ لا إله إلا الله تعني بُطلان الآلهة المَزعومة والأصنام المُدّعاة والأوثان التي اتخذوها أنداداً وشُركاءَ لله سبحانه وتعالى ، فهي كلمة عظيمة المبنى واضحة المعنى بيّنة الدلالة لا خفاءَ فيها ، ويأتي الخفاء عِند بعضِ الناس بسببِ الأهواء ودُعاة الضلال والجهل بدينِ الله سبحانه وتعالى وإلا فهيَ كلمة واضحة غايةَ الوضوح بيّنة غايةَ البيان معناها واضِح ومدلولها بيِّن ودلائِها وشواهِدُها ومُبيّناتُ معناها في كِتاب الله وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا تُحصى ولا تُعدّ ، وإذا وَقّع لدى بعض الناس التِباسٌ في فهمِ هذهِ الكلمة فإنّ هذا الالتباس لا يعودُ إلى غموضِ يَكتنِفُ الكلمة أو خفاءٌ يُصاحِبها حاش وكلا ، هي كلمة واضحة تمام الوضوح بيّنة غاية البيان فإذا حدثَ عندَ بعض الناس شيء مِن الالتِباس أو الخفاء أو الغموض أو الانحِراف فكلُّ ذلِك عائِد إلى الأهواء والجهل بدين الله تبارك وتعالى ودُعاة الضلال وأهل الفِتنة وإلا الكلمة واضِحة عليها نور وضياء وبُرهان ولا خفاءَ فيها .

ـــ لا إله إلا الله ـــ لا : في أولِها نافية للجنس ، إله : اسمُها ، وخبرُها محذوف و هو مُقدّر وتقديرُه ليس مبنياً على أهواء الناس ورغَباتِهم وإنّما تقديرهُ مبنياً على مدلولِ كتاب الله جلّ وعلا ، وهذهِ نُقطة مُهمّة جدا في فهمِ كلمة التوحيد ـــ لا إله إلا الله ـــ وهذا المحذوفُ المقدّر ينبغي أن يُفهم على ضوءِ الأدلّة مِن كتاب الله وسنة نبيه ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ لا على ضوءِ أهواء الناس ونَزعاتِهم ورغباتِهم ونِحَلِهم ومذاهِبهم وعقائِدهم ، وهذا المحذوف المُقدَّر كما يدلّ على ذلك نصوص القرآن والسنة هو كلمة حق ـــ لا إله حقٌّ إلا الله ـــ كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ وكما قال الله تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ وكما قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فلا إله إلا الله أي : لا إله حقٌ إلا الله ، فكلُّ ألوهِيَّةٍ مُدّعاة لِما سِواه فهي باطِلة ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾ أيَّن كان ومهما كان ، فالألوهية لهُ وحده تبارك وتعالى كما أنه سبحانه وتعالى تَفردّ وحدهُ بِخلقِ الناس وإيجادِهم فيجب أن يُفرد بالألوهية فلا يُصرف التألُّه والتعبّد والتذلُّل والخضوع والانكِسار إلا لهُ تبارك وتعالى وحدهُ دون سِواه ، فلا إله إلا الله معناها لا إله حقٌ إلا الله .

والإله في لغة العرب معناه المعبود والتألُّه التعبّد ، إله مِن أَلِهَ يَأْلَهُ إلَهَةً أي : عَبَدَ يعبُدُ عِبادةً والتألُّه التعبُد وهذا معنى معروف في اللغة وهو مدلولُ هذه الكلمة كما قال رئبة بن العِجاج :

للهِ درُّ الغانياتِ المُدّهِ **** سَبَّحنَ واستَرجَعنَ مِن تَألهِي

أي : مِن تعبّدِ ، قُلنا سُبحانَ الله وإنّ لله وإنّ إليهِ راجعون مِن تألهِ أي : مِن تعبُّدِ لله ، فالتَألُّه التَعبُّد ، والإله هو بمعنى المعبود المألوه الذي يُذلّ لهُ ويُخضع ويُطاع ويُخشع له وتُصرف له أنواع العبادة .

فالإله هو المألوه أي : المعبود الذي يُصرف لهُ التألُّه والتعبُّد والتذلّل والخُضوع والانكِسار فهذا لا يُصرف إلا له .

لا إله إلا الله أي : لا معبودَ حقٌ إلا الله قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ أي : معبود في السماء ومعبود في الأرض ، تَعبدُهُ الملائكة في السماء قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ أطَّت السماء وحُقَّ لها أنْ تَئط ما فيها موضِعُ شِبرٍ إلا وفيهِ ملَك ساجِدٌ لله يُسبّحون الليل والنهار لا يفتُرون ﴾ فهو في السماءِ إله أي : معبود وفي الأرض إله أي : معبود ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـــكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ فالإله هو المعبود ولا إله إلا الله أي : لا معبودَ حقٌ إلا الله جلّ وعلا ولا يجوز أنْ يُقدّر المَحذوف بكلمةٍ أخرى غيرَ هذه الكلِمة التي دلَّ عليها القرآن ودلّت عليها سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وكلُّ آيةٍ في القرآن وحديثٍ عن الرسول عليه الصلاة والسلام في تقريرِ التوحيد وإبطالِ الشرك فهو دليلٌ على أنّ المحذوف المُقدّر هو كلمة حق ، لا إله إلا الله أي : لا معبودَ حقٌ إلا الله لأنّ هذه الكلمة تُبطِل على ما سيأتي بيانهُ عِبادةَ كلِّ مَن سِوى الله وصرف شيء مِن الطاعة لغيرِهِ سبحانه وتعالى .

لا إله إلا الله أي : لا معبودَ حقٌ إلا الله سبحانه وتعالى ، وهذه الكلمة ـــ كلمة التوحيد ـــ تشتَمِلُ على رُكنين لا يتحقَّق التوحيد ولا يستقيم إلا بِهما : الركن الأول النفي والركن الثاني الإثبات ، وهذا الأسلوب في لغة العرب يُسمى القَصر وهو قوي في تقرير المُراد وبيان المقصود ، وهو في قوّتِه يُعادِلُ قُوّة جُملتين مُفيدتين ، الأولى مُثبتة والثانية نافِية ، فبِهذا الأسلوب ـــ أسلوب القصر ـــ أدَّى ما تُؤدِّي إليهِ جُملتين مُفيدتين ، جُملةٌ تُثبت وجُملةٌ تَنفي ، فجَمع هذا الأسلوب ـــ أسلوب القصر ـــ النفي والإثبات وهذا أبلغ ما يكون في التقريرِ والبيان ، النفي في قولِه : لا إله ، والإثبات في قوله : إلا الله ، وكلّ مِن

هذين بِمثابة جُملة ، جُملةٌ مُثبِتة وجُملةٌ نافية ، الجُملة النافية تنفي نفياً عاماً العُبودية والتأُّله والتذلّل والخضوع عن كلِّ أحد ، نفياً عاماً عن كلِّ أحد سوى الله سُبحانه وتعالى أيّن كان لا مَلَك مُقرّب ونبي مُرسَل ولا وليٌّ مِن الأولياء ولا صالِح مِن الصالِحين ولا غيرِهِم ، فهي تنفي نفياً عاماً لا يُستثنى مِنه إلا المُستحق الإله الحق ربّ العالمين جلّ وعلا ومَن سِواه فهو داخِل تحتَ النفي ، ـــ لا إله ـــ فتنفي العبودية نفياً عاماً عن كلِّ مَن سِوى الله ، وقولهُ : ـــ إلا الله ـــ هذا فيهِ إثباتٌ خاص للألوهية والعِبادة بِكلِّ معانيها وبِجميع أنواعِها وأفرادِها لله سبحانه وتعالى ، نفيٌ عام وإثباتٌ خاص وهُما رُكنا التوحيد الذي لا توحيد إلا بِهِما ولا يكون العبدُ مُوحداً إلا بِهِما لا يكونُ مِن أهل التوحيدِ إلا بِهما بالنفي والإثبات ، النفي العام ينفي العُبودية والألوهية والتذلّل والخضوع وصرف العِبادة عن كلِّ أحد نفياً عاماً إلا الله سبحانه وتعالى الإله الحق والرُكن الثاني الإثبات إثباتٌ خاص للتألّه والتذلّل والعِبادة بِكلِّ معانيها وجميع أفرادِها لله سبحانه وتعالى ولا يكونُ المرء مُوحّداً إلا بتحقيقِ هذين الرُكنين معاً النفي والإثبات ، ولو جاء بأحد الرُكنين دونَ الآخر لا يكونُ مِن أهل التوحيد بل يكونُ مِن أهل الكُفرِ ، فمثلا لو أنّ إنساناً جاءَ بطَرفي هذهِ الكلمة الأول الذي هو النفي بِدون الإثبات ، فقال لا إله ووقفَ عِندَ هذا الحد دونَ أن يُثبِت يكون بِذلك مِن الملاحِدة أهل الإلحاد و الجُحُود الذين عقيدَتُهم أن لا إله والحياة مادّة ، وإذا جاء بالإثبات وهو الركن الثاني بِدون النفي لا يكونُ موحِداً بل يكونُ مُشركاً فمن قال مثلا : الله معبود ، هذا يُسمى ماذا ؟ إثبات ، لو قال : اللهُ معبودٌ وأنا أؤمِن بأنّ الله معبودٌ لكِن لا أنفي العُبودية عَن مَن سِواه ، أنا أثبِت أنه معبود وأثبِت أنهُ يُعبد وتُصرف له العِبادة ويُصلّى له ويُدعَ ويُركع له ويُسجَد لكِن لا أنفي العِبادة عن مَن سِواه ، لا أنفيها عن الأنبياء ولا عن الملائكة ولا عن الأولياء لا أنفيها ، أنا أثبِتُها لله لكِن لا أنفيها عن مَن سِواه ، أيكونُ بِذلِك مِن أهلِ التوحيد ؟ لا ، وإنّما يكونُ بِذلِك مِن أهل الشرك ، فالمُشركون كانوا يُثبِتون ولا يَنفون ، يُثبِتون ولكِن بدون نفي ، يُثبِتون أنّ

الله معبود و يعبدونه ويحجون ويُصلّون ويقومون بأنواع مِن الطاعات لكنهم لا ينفون العِبادة عَن مَن سِواه ، والمعركة بينهُم وبين النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الأمر والخُصومةُ فيه ، فهُم يُثبِتونَ أنّ الله موجود ويُثبِتون أنه ربٌّ خالِقٌ رازقٌ مُنعِم وأنّ الأصنام ليسَ لها مِن ذلِك شيء ، يُثبِتون أنه تفرَد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنّ هذا مِن خصائصِه ولا يَنسِبون ذلِك للأصنام وفي القرآن آيات كثيرة فيها أنهُم إذا سُئلوا مَن خلقهُم ، مَن خلقَ السموات ، مَن خلقَ الأرض ، يقولون الله يُقرّون بذلك ، وأيضاً يُقرّون بأنهُ معبود ويُحبُّونه ويحجون ويُصلّون ويقومون بأنواع مِن الطاعات لكنّهم لا ينفون العِبادة عن من سِواه لا ينفونها ، بل اتخذوا معهُ أنداداً يُسَوُّونهم به في العِبادة قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ ﴾ فهُم يُحبُّون الله ولكن مَحبّتهُم له ليست خالِصة وإنّما جعلوا لغيرِهِ فيها شَرِكة ، ولِهذا إذا ألقوا في نارِ جهنّم يوم القِيامة يقولون : ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهُم لم يُسوُّوا أصنامهُم بربّ العلمين في الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير وإنّما سَوُّوهُم بهِ في العِبادة فأثبتوا أنّ الله تبارك وتعالى معبود ولكنهم لم ينفوا ذلِك عن من سِواه ولِهذا قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يُؤمِنون به رباً خالِقاً رازِقاً يؤمِنون بأنه يُعبد يُصلّى لهُ ويُسجد يؤمِنون بذلك ولكنهم لا ينفون العِبادة عن من سِواه ولِهذا جاء في مُسند الإمام أحمد أنّ النبي عليه الصلاة والسلام سألَ رَجُلا مِن المُشركين قال له : ﴿ كم إلهاً تعبُد ﴾ قال : سبعة ، ستةٌ في الأرض وواحدٌ في السماء ، فهُم يعبدون الله و لكنّهم يعبدون معه غيرَه ، قال لهُ : ﴿ مَن الذي تَجعل لِرَغبِك ورهَبِك ﴾ يعني : في شِدَّتِك وفي ضرورتِك ، قال : الذي في السماء ، قال : ﴿ دع الذي في الأرض وأعبُد الذي في السماء ﴾ فكانَ القوم يعرِفون الله ويُثبِتون أنه الخالِق الرازِق المُنعِم المُدبّر سبحانه وتعالى ويُؤمِنون بأنه معبود لكنهم لا ينفونها عن من سِواه ولِهذا كانوا مُشركين

مِن حطبِ جهنّم مِن أهل النار ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ .

فإذن لا يكون العَبد مِن أهل التوحيد إلا بتحقيقِ رُكنيْ التوحيد الذي دلَّت عليهِ كلمة التوحيد ــ لا إله إلا الله ــ النفي والإثبات ، نفيٌ عام للعبودية عن كلّ مَن سِوى الله وإثباتٌ خاصٌ للعِبادة بكلِّ معانيها وأفرادِها وأنواعِها لله تبارك وتعالى وحده دون أن يُجعل له شريكٌ في ذلِك .

ويأتي في السنة مضموماً إلى كلمة التوحيد في بعض الأحاديث ، يأتي قوله وحدهُ لا شريكه له ﴿ مَن قال لا إلهَ إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له ﴾ وهذا تأكيدٌ للتوحيد برُكنيه الذي دلّت عليه كلمة التوحيد ــ لا إله إلا الله ــ تأكيدٌ للتوحيد بِرُكنيه النفي والإثبات ، فقولهُ وحدهُ هذا تأكيدٌ للإثبات وقوله : لا شريك له هذا تأكيدٌ للنفي ، لأنّ كلمة التوحيد قائمة على النفي والإثبات ولّما كان هذا المقامُ مقاماً عظيما أكّدهُ النبي عليه الصلاة والسلام بالإيضاح والبيان وبِهذه الكلمة ــ وحدهُ لا شريك له ــ فأكّدَ الإثباتَ بقوله ــ وحده ــ وأكّدَ النفي بقوله ــ لا شريك له ــ ولا يكون العبد مِن أهل هذه الكلمة إلا بِتحقيق هذينِ الرُكنين ــ النفي والإثبات ــ .

لا إله إلا الله هذهِ الكلمة جاء في القرآن الكريم في مواضِع كثيرةٍ جداً وكذلِك في سنة النبي عليه الصلاة والسلام ما يُبيِّن معناها ويُوضّحُ مدلولها في آيٍّ كثيرة في القرآن وأحاديث عديدة في سنة النبي عليهِ الصلاةُ والسلام ، ولنأخُذ على ذلِك بعض الأمثلة لأهمّية الأمر وإن طالت قليلا :

فمِن ذلِكُم قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الكلمةُ التي جعلها عليه السلام باقيةً في عَقِبِه هي كلمة التوحيد ــ لا إله إلا الله ــ وقد

ذُكِرت هُنا بمعناها المُبيّن لنا بِرُكنيها فقولهُ ﴿ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ هذا النفي وقوله ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ وهذا الإثبات وهذا هو التوحيد الذي دلَّت عليهِ هذه الكلمة العظيمة ، البراءة مِن كلِّ ما يُعبد سِوى الله وإثبات العِبادة بكلِّ معانيها لله سبحانه وتعالى وحده ﴿ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ ولو قيلَ لأحدِنا ما معنى لا إله إلا الله ؟ فقالَ مُبيّن لِمعناها على ضوءِ هذه الآية معناها البراءةُ مِن كلِّ ما يُعبد سوى الله وإثبات العِبادة بكلّ معانيها لله وحده الفاطِر الربّ الخالِق الرازِق المُنعم المُدبّر سبحانه وتعالى .

ويقول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ كلمة المُرادُ بِها هُنا كلمة التوحيد وهي الكلمة السواء التي تجمَع المُفترق وتَلُمُّ الشتات وتُوجِد الرابطة الوثيقَة والصلة العظيمة التي لا أوثقَ مِنها ، تربِط بينَ الناس وتجمع بينهُم وتُألف بينهم ولا يُؤلف بينهم إلا الانضِواء تحتَ هذه الكلمة العظيمة وهو تحقيقُها بل إنّ تحقيقَ هذهِ الكلمة ربطَ بينَ جنسين مُختَلفين : الملائِكة والإنس ، فالرابِطة بين الملائكةِ والإنس أي : من آمنَ مِنهُم مِن الإنس هيَ رابِطةُ لا إله إلا الله ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ انظُر هذه الرابِطة القويّة التي ليس الجامِعُ فيها إلا التوحيد ـــ لا إله إلا الله ـــ فهي الكلمةُ السواء وهي الكلمة الجامِعة و الرابِطة الوثيقة بين أهلِها والمنضَوينَ تحتها والمُحقِّقين لها ، ﴿ كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ ما هي ؟ ﴿ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ﴾ ولِهذا لو قيلَ لأحدِنا على ضوءِ هذه الآية ما معنى لا إله إلا الله ؟ فقال : ألا نعبُد إلا الله ولا نُشرِك بهِ شيئا ، هذا هو معناها كما هو واضح ومُبيّن في كِتاب الله سُبحانه وتعالى ﴿ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ﴾ ، لا نعبد إلا الله أي : لا نصرِفَ شيئا مِن العِبادة إلا له وهذا يقتضي مِن قائل هذهِ الكلمة أن يفهم ما هي العِبادة حتى يَخصّ الله بِها ولا يصرِف شيئا

منها لغير الله ولِهذا مِن فهمِ لا إله إلا الله فهم العِبادة ما هي ، وما أفرادُها وما أنواعُها ؟ لأنّ من يقول لا أعبُد إلا الله ولا يدري ما هيَ العِبادة ربّما صرفَ شيء مِنها لغيرِ الله سبحانه وتعالى كما يقع كثيراً ، فمِن تحقيقِ لا إله إلا الله ومِن الإيمان بلا إله إلا الله أن يفهَم الإنسان العِبادة فلا إله إلا الله معناها : ألاّ نعبُدَ إلا الله ولا نُشرِك بهِ شيئاً أي : في العِبادة ، لا نَجعل معهُ تبارك وتعالى شُركاء في العِبادة فهذا هو معناها كما هو واضح ومُبيّن في هذه الآية الكريمة .

ويقول الله سبحانهُ وتعالى في آية أخرى في بيان دعوة المُرسلين و زُبدَة رسالتِهم وخُلاصة ما أرسِلوا به يقولُ جلّ وعلا : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ لا إله إلا أنا هذه : لا إله إلا الله وهي خُلاصةُ دعوةُ المُرسلين ، اقرأ الآية هذهِ وضُمَّ إليها قول الله سبحانه وتعالى في سورةِ النحل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ مِن مجموعِ هاتَين الآيتين اللتينِ فيهما بيان زُبدةُ دعوةُ المرسلين ـــ لا إله إلا الله ـــ في الآيةِ الأولى ذَكر كلمة التوحيد بلفظِها وفي الآية الثانية ذَكَر آية التوحيد بماذا ؟ بمعناها ومدلولِها ، في الآية الأولى قال : ﴿ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ هذه كلمة التوحيد ، ما معناها ؟ اقرأ الآية الأخرى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ وعلى ضوء هذهِ الآية لو قيلَ لأحدنا ما معنى لا إله إلا الله فما الجواب ؟ لو قال لا إله إلا الله معناها عِبادَة الله واجتِناب عِباد الطاغوت هذا هو معنى لا إله إلا الله النفي والإثبَات ، عِبادة الله ، إخلاص العِبادة له سبحانه وتعالى واجتنبوا الطاغوت البراءَة مِن عبادةِ كلِّ مَن سِوى الله ، والطاغُوت مُشتقٌ مِن الطُغيان وهُو ما تجَاوَزَ بِهِ الناسُ حداً مِن معبودٍ أو متبوعٍ أو مُطاع .

ومِثلُ هذه الآية في بيان كلمة التوحيد ـــ لا إله إلا الله ـــ الآيةُ التي تلي آية الكرسي قال الله تعالى : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْد مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن

بِاللّهِ ﴾ هذا هو معنى لا إله إلا الله ، يكفُر بالطاغوت هذا النفي ويُؤمِن بالله هذا الإثبات ، وبالنفي والإثبات يكونُ ماذا ؟ مُستَمسِكاً بلا إله إلا الله ولِهذا قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ ما هي العُروةُ الوُثقى ؟ لا إله إلا الله ، إذن لا يكونُ العبد مُستَمسِكاً بالعُروة الوُثقى لا إله إلا الله إلا إذا كانَ كافِراً بالطاغوت مؤمِناً بالله ، ولو قال لا إله إلا الله وهو لا يَكفُر بالطاغوت لا يكونُ بِهذا القول مِن أهلِ لا إله إلا الله ولا مِن المُستمسِكين بالعُروة الوُثقى .

كذلِك مِمّا يُبين لا إله إلا الله في القرآن قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً ﴾ وقولهُ سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ والآيات في هذا المَعنى كثيرَة التي يَجمع الله سبحانه وتعالى فيها بينَ النفي والإثبات الذي لا يُمكِن أن تَتـــحقَّق كلِمة التوحيد إلا بِهما .

كذلك قول الأنبياء لأقوامِهم وهذا يتَكرّر كثيراً في قصَص الأنبياء ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ هذا هو معنى لا إله إلا الله ، معناها ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ فخاطَبَ الأنبياء أقوامَهُم بِهذه الدعوَة ، الدعوة إلى لا إله إلا الله والبراءَة مِن الشرك .

أيضاً مِمّا يُبين معنى لا إله إلا الله في القرآن ما جاءَ في دعوة هُود ـــ عليه السلام ـــ لقومِه وشأنهُ في دعوتِه لِقومِه شأنُ جميع النبّيين وقد مرّ معنا قريباً اتِّفاقُ دعوة الأنبياء على لا إله إلا الله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ولو سألتُكُم ما الذي بَدَأ هُودٌ ـــ عليه السلام ـــ قومهُ به داعِياً لهُم إليه لقُلتُم : لا إله إلا الله ، دعاهُم إلى لا إله إلا الله كما هو الشأن في جميع المُرسلين ، لمّا قالَ لهُم قولوا : لا إله إلا الله فَهِموا معناها وعرفوا ما تدُلُّ عليه فماذا قالوا له ؟ ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ

مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ إذن هُم فهِموا أنّ لا إله إلا الله تعني ماذا ؟ عِبادَة الله وحدَه وبُطلان عِبادة الأوثان والأصنام ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ .

ونظيرُ هذا مع ما جاءَ في قِصّةِ عاد ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ المُراد بالنُذر مِن بينِ يديه ومِن خلفهِ أي : جميع الرُسل ، وهذهِ الآية مثل الآيات الأخرى الدالّة على أنّ زُبدة دعوة المُرسلين وخُلاصَة رِسالاتِهم هو الدعوة إلى توحيدِ الله سُبحانه وتعالى وإخلاص الدّين له والبراءةِ مِن الشرك ، ﴿ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ اتّفاق تام لدى جميع المُرسلين على هذا الأمر ﴿ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ ﴾ ولاحظ النفي والإثبات الذي لا توحيدَ إلا بِهما ﴿ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ ﴾ نفيٌ للعبودية عن كلِّ مَن سِوى الله وإثباتٌ للعُبودية بِكُلِّ معانيها لله سبحانه وتعالى وحدَه .

هذهِ الآيات ونظائِرُها في القرآن كثير جداً تُبيّن لنا معنى هذه كلِمة العظيمة ومدلولَ هذهِ الكلمة المُباركة ــ كلمةَ التوحيد ــ وكُلُّها تَأتي في مساق التَفسير والبيان لِكلمة التوحيد ــ لا إله إلا الله ــ ، وإذا جاء نَهرُ الله بَطلَ نَهرُ عمر وزيد ، إذا جاءَك التفسير لِهذه الكلمة مِن كلام ربّ العالمين وفي آياتِه المُحكمات وحُججِهِ البيّنات لستَ بِحاجة إلى تفسيرِ أحد ولا لبيانِ أحد الأمرُ واضِح وبيِّن ومع ذلِك تَجد فئام وفئام مِن الناس يترُكون هذا البيان البَيّن والإيضاح المتين في كلام الله وكلام رسولِه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثمَّ يَتلقطون مِن هُنا وهُناك مِن أرباب أهل الأهواء ودُعاة الضلال مفاهيم غالِطة ومعاني باطِلة لهذه الكلمة رُبما أشير إلى بعضِها .

فإذن هذهِ الآيات كلُّها جاءت مساق التفسير والبيان لِكلمة التوحيد ــ لا إله إلا الله ــ وعادةً في التفسير والبيان ــ تفسيرُ الشيء وبيانُهُ ــ عادةً لهُ طريقتان ذكرهُما أهل العِلم ، الطريقة الأولى بِذكر المعاني المُندَرِجة تحت اللفظ المُفسّر والطريقة الثانية بِذكر الضد ،

فالشيء يُفسَّر بمعانيه الداخِلة تحته والتي يدلُّ عليه اللفظ والطريقة الثانية ببيانِ ضده ، وكما قيل : وبِضدِّها تَتميَّز الأشياء ، ولِهذا يُفسّر التوحيد تارةً بالإخلاص ـــ إخلاص الدّين لله ـــ ومعنى الإخلاص أن يؤتى بالدّين صافِياً نقيّاً لا يُرادُ بهِ إلا الله ولا يُجعلُ معه شريكاً قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ والخالِص هو الصافي النقيّ .

فالتوحيد هو أن يكون الدّين صافياً نقياً ليس فيه شوائِب ولا مُكدِّرات ومُعكِّرات نقياً لا يُرادُ بالدّين إلا الله ولا يُصرف شيء مِنه إلا لله سبحانه وتعالى ، فالخالِص هو الصافي النقيّ ، وإذا أردتَ أن تعرِفَ معنى الإخلاص في اللغة فتأمّل في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ ﴾ خالِصاً ، ما معناها ؟ أي : صافِياً نقياً ، هذا اللبن الأبيض الصافي النقي مِن أين يخرج ؟ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾ حتى إنّ بعضَ أهل الاختِصاص يقول إنّ الحليب يخرُجُ للتو عِندَ حلبِه مِن بين الفرث والدّم وانظر العِبرة العظيمة ، ولِهذا الناقة إذا أرادوا حَلبها لا تذر حتى يُأتَ بولدِها ويُدنَ مِنها ويُقرَّب مِنها فإذا قَربَ ولدها ورأتهُ قريباً مِن ضرعِها ذرَّت فعِند إذن يحلِبون ، فيخرج الحليب للتو عِند حَلبه مِن بين الفرث والدّم وقال الله ربّ العالمين صافياً خالِصاً يعني لا ترى فيه نُقطة دم ولا قِطعة فرث معَ أنهُ للتو خرجَ مِن بين الدّمِ والفَرث ، خالِصاً أي : صافياً نقياً ، ومع عِلمك بِمخرجه مِن أين خرج أيضا صائغ ، نفسُك تُقبل عليه وتتطَعَّمَه وتتلذّذ به حتى إنّ بعض رُعاة الإبل مِن شِدَّة وَلعِه بحليب الناقة وحُبِّهِ له إذا ما وَجدَ وِعاءاً يحلِب يترِل تحتَها ويرتَضِع مِن ثديها ويَمُصُّ كما يمُصُّ وليدَها حليبَها مِن شِدّةِ ولَعِهِ بها ، الشاهِد أنَّ قوله : خالِصاً أي : صافياً نقياً .

فإذن التوحيد يُفسّر بمعناه ومدلولِه وما يندَرِج تَحتَ لفظِه ويُفسّر بِضدِّه والتحذير مِن ضدّه وهو الشركُ بالله سبحانه وتعالى ، ولِهذا تَجِد في القرآن آيات كثيرة تُبيّن التوحيد بإيضاحِ معناه وتقريرِ مدلولِه وآياتٍ كثيرة في القرآن أيضاً هيَ جاءت في مساق بيان التوحيد وبيان كلمة التوحيد بِذكرِ ماذا ؟ التحذير مِن ضدّه ، فمثلا قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ ﴾ هذهِ آية مُفسّرة للتوحيد و مُبينة لمعناه بالتحذيرِ مِن ضدِّه وهو الشرك ، كذلِك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً * أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ كذلِك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ كذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ونَظائِرُها في القرآن كثير ، كلُّها هذه تُفسِّر كلمة التوحيد ـــ لا إله إلا الله ـــ تارةً بِبيان المعنى والمَدلول وتارةً بالتحذيرِ مِن ضدِّها ونقيضِها وما تَنهَدِم به وتنتَقِض به .

ومِن الأحاديث العظيمة والعجيبة في تفسير لا إله إلا الله الدُعاء الذي يُرَدّده أغلب المسلمين أو الذِكر الذي يُرَدِّدُهُ أغلب المُسلمين دُبُرَ كلِّ صلاة وهو ثابت في الصحيح عنِ النبي عليه الصلاة والسلام أنهُ كان يقول دُبُر كلّ صلاة ماذا ؟ ﴿ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له لهُ المُلك ولهُ الحَمد وهو على كلِّ شيء قدير لا إله إلا الله ولا نعبُدُ إلا إيّاه لهُ النِّعمةُ ولهُ الفضلُ ولهُ الثناءُ الحسن لا إله إلا الله مُخلِصينَ لهُ الدّينَ ولو كَرِهَ الكافِرون ﴾ ويا سُبحان الله !! ترى في الناس مَن يُردِّد هذه الكلمات أدبارَ الصلوات ثم يَنقُضُها بِفِعالِه وأعمالِه فيتَّخِذ الأنداد ويدعو غير الله ويَستغيث بِغير الله ويَطلب المدد مِن غير الله مع أنه

يُردّد هذه الكلمات ، وهي كلِمات واضِحة كلمات بيّنة كلمات جليّة تُبين لنا التوحيد ولِهذا لو أردنا أن نُفسِّر التوحيد بِما دلّت عليه هذه الكلمات ، وتأمّلوها ثانيةً وكُلُّنا يقولُ ذلِك أدبار الصلوات ﴿ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له لهُ المُلك ولهُ الحَمد وهو على كلِّ شيء قدير لا إله إلا الله ولا نعبُدُ إلا إيّاه لهُ النِّعمةُ ولهُ الفضلُ ولهُ الثناءُ الحسن لا إله إلا الله مُخلِصينَ لهُ الدّينَ ولو كَرِهَ الكافِرون ﴾ لو قُلت لأحدِكم استَخلِص لنا تعريفاً جامِعًا للا إله إلا الله مِن هذه الكلمات الثلاث ، فكّروا بعدَ الآذان أعطونا الجواب .

طيب أنا أريد تعريفاً جامِعا مِن الجُمل الثلاث نعم ، أنا أريد تعريف للا إله إلا الله تستَخرجونهُ مِن هذا الذِكر ﴿ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له لهُ المُلك ولهُ الحَمد وهو على كلِّ شيء قدير لا إله إلا الله ولا نعبُدُ إلا إيّاه لهُ النِّعمةُ ولهُ الفضلُ ولهُ الثناءُ الحسن لا إله إلا الله مُخلِصينَ لهُ الدّينَ ولو كَرِهَ الكافِرون ﴾ جواب الأخ الأول هو الجواب الصحيح يعني الأجوبة كلّها صحيحة لكن بِحسب السؤال المطروح الجواب الصحيح هو جواب الأخ الأول ، لو قيلَ لنا يعني ذِكرُ تعريفٍ جامِع للا إله إلا الله مِن مجموعِ هذا الذكر الذي يُردّده المسلمون أدبار الصلوات فنقول : لا إله إلا الله معناها أن لا نعبُد إلا الله وحدهُ لا شريكَ لهُ مُخلِصينَ لهُ الدّين ، لا نعبُد إلا الله هذهِ من الجملة الثانية ، وحده لا شريك له من الجملة الأولى ، مخلصِين لهُ الدّين من الجملة الثالثة ، فهذا تعريف للا إله إلا الله يَتكرّر مع المسلم ويَتردّد معه يومياً أدبار الصلوات وهذا التِكرار ودوام الذِّكر لهذا الأمر هذا كلُّه على عِظَم مقام التوحيد وضرورة فهمه فهماً صحيحاً مبنياً على كِتاب الله وسنة نبيه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ .

وعلى كُلِّ حال الموضوع لا يزال لهُ بقيّة وله تَتِمّة وفي الدرس القادم ــ إن شاء الله تعالى ــ نُتِّم الموضوع وأيضاً ما يتعلّق بالعِبادة ومفهوم العِبادة وأفراد العِبادة الذي لا يُمكِن أن يتحَقّق للعبد إيمانهُ وتحقيقهُ لكلمة التوحيد ــ لا إله إلا الله ــ إلا بفهم العِبادة فهماً

صحيحاً ليَجعَلها لله خالِصة وأيضاً يعرِف الشرك ما هو وما حقيقتِه ليبرأ مِنه ويكون منه في غايةِ الحذر والحِيطة .

ونسأل الله جلّ وعلا أن يرزقُنا جميعاً إيماناً صادِقاً وإخلاصاً له جلّ وعلا في العِبادة ونعوذُ بالله مِن الشرك كُلّه دقيقِه وجلِيلة صغيرِه وكبيرِه ونسألهُ تبارك وتعالى أن يُصلح لنا ديننا الذي هو عِصمة أمرِنا وأن يُصلح لنا دُنيانا التي فيها معاشنا وأن يُصلح لنا آخرتنا التي فيها معادُنا وأن يجعل الحياة زِيادة لنا في كلّ خير والموت راحة لنا مِن كل شرّ إنه تبارك وتعالى سميعٌ قريبٌ مُجيب .

قـــــــام بتفريغـــــــها

حيـــــدر